

الطريق نحو الانتعاش: التعليم في مجتمعات النازحين

آمي س رودس

لقد وقع إخفاق في إدماج تعليم اليافعين والبالغين باعتباره مكوّنًا معياريًا لا بد من مراعاته أثناء النّزوح.

عالية المستوى فحسب، بل في حملات المنظمات غير الحكومية أيضاً.

ووفقاً لتقرير اليونيسكو، لم يتحقق من التقدم سوى القليل نحو تحقيق هدف تخفيض نسبة الأمية إلى ٥٠٪ وذلك ما يُؤثّر على ما يقدر عدده بـ ٧٥٩ مليون شخص في العالم ممن هو فوق سن الخامسة عشرة، أي واحد من كل خمسة بالغين. ومن الجدير بالذكر أنّ النساء يشكّلن ثلثي نسبة الأمية بين البالغين في العالم. وبالإضافة إلى ذلك، وبما أنّ محو الأمية متمركزة كل الارتكاز على اللغة، فإنّ الأمية تُؤثّر تأثيراً غير متناسب على الأشخاص المتحدثين بلغات الأقليات واللغات الأصلية حول العالم لأنّ فرصهم أقل في اكتساب مهارات محو الأمية واستخدامها.٤

قواسم مشتركة

لكي نصل إلى فهم واضح للتحديات التربوية المُستبطنة، لا بد من أن نكون على دراية بالقواسم المشتركة بين الفقر، ومحو الأمية، والتعرّض لحالات الطوارئ. وغالباً ما يكون الأشخاص من ذوي الدخل الأدنى أكثر الفئات التي تتأثر سلباً بذلك. وفي الوقت الحاضر، هناك أكثر من ٢٥ بلداً في العالم تشهد أدنى مستوى لمعدلات الأمية بين البالغين وهي إمّا تعيش النزاع أو أنّها خرجت للتو منه. يضاف إلى ذلك أنّ ١٠ من ٢٥ بلداً من البلدان التي تشهد أدنى معدلات لمحو أمية البالغات هي من البلدان المتأثرة بالنزاع.

لكنّ القواسم المشتركة بين الفئات الأقل حظاً أكبر من ذلك بكثير. ومع أنّ إعدادات إحصاءات سكانية عالمية حول النّازحين من المهام الصعبة، ما زالت المسوحات الوطنية التي أجريت في البلدان التي تعيش فيها أعداد كبيرة من النّازحين تُظهر أنّ من يعيش في الفقر، والأقليات العرقية والنساء متأثرون جميعاً بنسب غير مواتية بالنزوح.٥ ووفقاً لتقرير اليونيسكو «التعليم للجميع» فإنّ تلك هي القطاعات ذاتها بالنسبة للفئات السكانية التي تتفشى فيها مستويات متدنية من التعليم. وإضافة إلى ذلك، تُبيّن القواسم المشتركة الحاجة الكبيرة لتعليم اليافعين والبالغين في مجتمعات النّازحين. ومع أنّ التعليم الأساسي يمنح قيمة كبرى، فهو بحد ذاته لا يكفي لتزويد الأشخاص النّازحين بالمهارات الضرورية لتجاوز الفترة الزمنية الانتقالية وإعدادهم لبناء حياتهم بعد إعادة التوطين.

فلا بد إذن من إدماج تعليم البالغين والتدريب المهني في إطار المساعدات الإنسانية على أنّها مكوّنات حيوية مهمة في عملية الانتعاش. فالتعليم لن يقتصر على

اكتساب المهارات المعرفية والاجتماعية المهمة بحيث يصبحون فيها أعضاء فاعلين في مجتمعاتهم. وبمقدور التعليم الثانوي أيضاً الحد من التعرّض للتجنيد في الجماعات المُسلّحة غير الحكومية أو الاتجار بالبشر، فكلتا النشاطان يستهدفان اليافعين المُهمّشين. وبما أنّ الشباب هم قادة المستقبل في مجتمعاتهم وبلدانهم، فلا بد من توافرهم على المهارات اللازمة لتوليّ مسؤولياتهم وليكونوا على قدر أكبر من التنافسية الاقتصادية.

والتدريب الفنّي والمهني أيضاً له دور هام وحيوي في مجتمعات النّازحين. فكثيراً من النّازحين فقدوا مصدرهم الرئيسي لكسب الرزق ما يتطلب منهم بناء مهارات جديدة لتحقيق الاكتفاء الاقتصادي. وهناك من النّازحين من يجدون أنفسهم بحاجة للمرة الأولى في حياتهم بكسب العيش بعد النّزوح. ومن هنا، تتبين أهميّة وجود مناهج التعليم غير النظامي والمرن في هذا القطاع لتوفير الخيارات الكبيرة المناسبة لليافعين والبالغين المتولينّ لمختلف الأدوار والمسؤوليات. ومع أنّ برامج التدريب الفنّي والمهني لم تشهد تطبيقاً واسع النطاق في مجتمعات النّازحين، فيشار إلى أنّ البرامج التي طبّقت حتى الآن قد حققت نتائج إيجابية كبيرة. ولا بد أيضاً من إدماج المرأة بعناية في هذه البرامج، فالمرأة في سياق النّزوح غالباً ما تكون في وضع أدنى من وضع الرجل في تلقي المعلومات المتعلقة بمثل هذه البرامج خاصة في المجتمعات التقليدية الذكورية.

وإلى يومنا هذا، ما زالت الوعود بضمان حق التعليم وعوداً فارغة لم تتحقق بالنسبة للنّازحين في جميع أنحاء العالم. وفي كانون الثاني ٢٠١٠، نشرت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) تقرير الرصد العالمي للتعليم للجميع ٢٠١٠: النّفاذ إلى المُهمّشين ٣ وقدمت تقديراتها للتقدم العالمي خلال العقد المنصرم نحو تحقيق الأهداف الستة التي حددها المؤتمر العالمي للتعليم للجميع (في داكار ٢٠٠٠). ويبيّن التقرير أنّ أبرز التحديات تمثّلت في تحقيق التقدم نحو الهدف الثالث وهو «تعزيز التعلّم والمهارات الحياتية لليافعين والبالغين» ويقول التقرير «على النقيض من الأجزاء الأخرى من إطار داكار، لقي الهدف الثالث إهمالاً جسيماً. فغياب ذلك الهدف كان واضحاً ليس في أجدات مؤتمرات القمة

في الوقت الحالي، تُوجّه المساعدات التعليمية الإنسانية نحو التعليم الأساسي مع تهميش تعليم اليافعين والبالغين. وينعكس ذلك على كلّ من الأولويات السياسية وتخصيص الموارد. وتبيّن دراسة مسحية أجرتها بعثة اللاجئات ندره برامج التعليم المُقدّمة ما بعد مرحلة التعليم الأساسي، بل هي بعيدة المنال للفئات المستهدفة المهجرة بين الدّول المتأثرة بالنزاع وفي تلك الدّول أيضاً.١ وبما أنّ معظم النّازحين يعيشون النّزوح لفترات طويلة قد تصل إلى أكثر من عقد كامل، فهناك حاجة إذن إلى تقديم برنامج شامل للتعليم لهم في تلك الفترة العصيبة.

وهناك ثلاث مجالات ضمن تعليم اليافعين والبالغين من شأنها أن تساعد في عملية التنمية، وهي: محو الأمية، والتعليم الثانوي، والتدريب الفني والمهني.

محو الأمية من البرامج المهمة جداً لليافعين والبالغين على حد سواء. وفي كانون الأول ٢٠٠٩، تُبيّن إطار بيليم للعمل ٢ الذي يطالب «بمضاعفة الجهود مجدداً للحد من الأمية وفقاً لمستويات الأمية عام ٢٠٠٠ بنسبة ٥٠٪ مع حلول عام ٢٠١٥». كما ركز ذلك الإطار على ضرورة رفع مستوى تعبئة الموارد والخبرات وتقديم المناهج التعليمية اللازمة وإتاحة الآليات اللازمة لضمان الجودة والحد من فجوة محو الأمية بين الجنسين. وفي الوقت الحالي، هناك نقص في برامج محو الأمية الفعالة خاصة في المناطق التي تعاني من النزاع رغم الحاجة الماسة لمثل هذه البرامج. أمّا محو الأمية فيشكل أداة رئيسية للناس عامة لكي يتمكنوا من استيعاب العالم من حولهم وصنع القرارات المدروسة.

فضلاً عن ذلك، ليس محو الأمية حقاً من حقوق الإنسان فحسب، بل هو حق «تمكين» لأنّه مقدمة لا بد منها لكي يتمكن الناس من التمتع بكثير من حقوق الإنسان بما فيها حق حرية التعبير وحق المشاركة في الشؤون العامّة وحق العمل وحق المشاركة في الحياة الثقافية.

والنفاذ إلى التعليم الثانوي مجال آخر يتطلب التحسين في ظروف النّزاع في كل أنحاء العالم. ووفقاً لبعثة اللاجئات، فإنّ نسبة النّازحين اليافعين الملحقين بالتعليم الثانوي تقل عن ٦٪ في العالم. والمدرسة الثانوية تتيح بيئة مُمكن لليافعين من

UNESCO, Belem Framework for Action (2010). ٣
(إطار بيليم للعمل)
<http://tinyurl.com/Belem2010Arabic>

UNESCO, Education for All Global Monitoring Report. ٤
(2010) Reaching the Margin alized (تقرير الرصد العالمي
للتعليم للجميع 2010: الوصول إلى المهمشين)
<http://unesdoc.unesco.org/images/0018/001866/186606A.pdf>

UNESCO, The Global Literacy Challenge (2008). ٥
(تحدي
محو الأمية العالمي)
<http://unesdoc.unesco.org/images/0016/001631/163170e.pdf>

IDMC, Internal Displacement: Global Overview of Trends. ٦
(2009) and Developments in 2008 (2009) (النزوح: نظرة عامة حول
النزوح والمستجدات في عام 2008)
<http://tinyurl.com/IDMCGlobalOverview2009>

هذه المقالة مقتبسة من ورقة علمية أطول للكاتبة

بعنوان **Displaced Futures: Internally**

Displaced Persons and the Right to Education

(مستقبل النازحين: النازحون وحقوقهم في التعليم)

http://www.right-to-education.org/sites/r2e.gn.apc.org/files/displaced_futures.pdf

١. لجنة اللاجئين. Untapped Potential: Displaced Youth (2007)
(الطاقات غير المستغلة للشباب المهجرين)
<http://womensrefugeecommission.org/programs/youth/79-untapped-potential-displaced-youth>

٢. Ulrike Hanemann, Literacy in conflict situations (2005). ٢
(محو الأمية في حالات النزوح)
<http://unesdoc.unesco.org/images/0014/001460/146003e.pdf>

تقديم الدعم في استمرار العيش والاستقرار فحسب
للنازحين نتيجة النزوح، بل إنه سيقدّم المهارات
الرئيسية أيضاً لإعداد النازحين لمرحلة بناء مستدامة
لحياتهم ومجتمعاتهم وبلدانهم.

آمي س رودس (ed4idps@gmail.com) تعمل في
قسم إيجاد الوظائف وتطوير المشروعات في منظمة
العمل الدولية (http://www.ilo.org). جميع
الآراء الواردة في هذه المقالة تعكس وجهة كاتبها
فقط وليس من الضروري أن تكون معبرة عن آراء
منظمة العمل الدولية.

عندما يجد اليافعون أنفسهم خارج ديارهم: دعوة للمشاركة في مقالات العدد ٩٣ من نشرة الهجرة القسرية

لهم. ومن هنا، يتبين أن للمخيمات أو مراكز الإيواء الجامعي تتسبب في احتمال
الإضرار بسلوكيات اليافعين أو التسبب في تشكل السلوك العدواني لديهم، كما أن تلك
المخيمات والمراكز ليست إلا بديلاً ضعيفاً للبيئة الاجتماعية الطبيعية. فضلاً عن
ذلك، نادراً ما تكون استجابات الغرباء لحاجات النازحين وحقوقهم بالقدر المطلوب
لرعاية حاجات النمو الطبيعي لليافعين.

ويرحب فريق التحرير في نشرة الهجرة القسرية بمقالاتكم الموجهة بالممارسة العملية
(مع التركيز على أوضاع النزوح القسري) عند التعامل مع هذه القضية.

لمزيد من المعلومات، يُرجى مراجعة الرابط التالي علماً أن الموعد النهائي لإرسال
المقالات هو ٢٠١١/١٠/١٧ حيث من المقرر نشر العدد في شباط/نوفمبر ٢٠١٢.

<http://www.hijra.org.uk/young-and-out-of-place>

لا يقتصر النزوح القسري على الخروج من الموقع مادياً بل يترتب على ذلك آثار
معنوية على مختلف نشاطات الحياة العادية. فالنزوح يؤدي إلى تشرذم العائلات،
وقطع العلاقات الاجتماعية، وتوقف التعليم، واستحالة نفاذ العائلات إلى المرافق
الاجتماعية. ومع ذلك، تستمر الحياة، ولا بد لمن أُجبر على النزوح من أن يسعى في
شتى الوسائل إلى إعادة إيجاده ما فقدته والاستعاضة عنه بالبدايل المتوافرة.

وقد تكون فئة اليافعين من الشباب بالذات سريعي التأثر من عدة نواح بالضغوطات
الناجمة عن التشريد المادي والاجتماعي الذي يتعرضون له في الوقت نفسه الذي
يواجهون فيه عدداً من التغيرات الهامة في حياتهم، منها حرمانهم من أجواء تطورهم
الاجتماعي الشخصي الطبيعي، وتشكيل العلاقات التي يشكّلها البالغون. لكن النزوح
قد يؤدي إلى زوال البنية المجتمعية التي تمكّن من حدوث كل تلك التغيرات بالصورة
المطلوبة. وغالباً ما تعجز المجتمعات المحلية (المضيفة) عن توفير الدعم الاجتماعي

العصابات المنظمة: ملحوظة إرشادية من المفوضية العليا للاجئين

ومن المسائل القانونية الرئيسية التي تتصدى لها الملحوظة الإرشادية تأسيس علاقة
بين الخوف من الاضطهاد من جهة والأسس التي تقدمها الاتفاقية المذكورة كالعرق
والأصول القومية والانتماءات الدينية والانتماءات للمجموعات الاجتماعية والرأي
السياسي. وهناك بعض الاختصاصات القضائية التي تقول إن ضحايا الجرائم العامة لا
تحميها اتفاقية اللاجئين لعام ١٩٥١ وأن الأفراد المعنيين إما استهدفوا بسبب الرغبة في
الاستيلاء على أموالهم أو الانتقام منهم. ومع ذلك، توضح المفوضية العليا للاجئين أنه
مع أن عنف العصابات يؤثر على شرائح واسعة في المجتمع، فهناك أفراد أيضاً اليافعين
المهمشين من خلفيات فقيرة وآخرون ممن يرفضون الامتثال إلى رغبات العصابات،
واقعون جميعاً تحت الخطر وبذلك فإنهم يشكلون "جماعة اجتماعية معينة، فضلاً
عن أنه من الممكن أن يتعرض ضحايا العصابات للاضطهاد على خلفية رأيهم السياسي
خاصة عند تداخل النشاطات الإجرامية مع النشاطات السياسية، ما يقود في النهاية
إلى تأهيل طالب اللجوء إلى حق اللجوء بموجب اتفاقية عام ١٩٥١.

الملحوظة الإرشادية للمفوضية العليا للاجئين حول ضحايا العصابات
المنظمة (Guidance Note on Refugee Claims Relating to Victims of Organized Gangs
of Organized Gangs) متوفرة على الانترنت من خلال الرابط التالي:
<http://www.unhcr.org/refworld/docid/4bb21fa02.html>

استجابة للأعداد المتزايدة من طلبات اللجوء المقدمة على خلفية نشاطات العصابات
الإجرامية، أصدرت المفوضية العليا للاجئين في آذار ٢٠١٠، ملحوظة إرشادية حول
مطالب اللجوء لضحايا العصابات المنظمة. فظاهرة العصابات وعنّف العصابات
تشهد ازدياداً في مختلف البلدان في العالم بما فيها على سبيل المثال السلفادور،
وغواتيمالا، وهندوراس، وجامايكا، والبرازيل، وروسيا الاتحادية. وقد ثبت وجود
صعوبات كبيرة أمام الحكومات في التصدي لها. ونتيجة لذلك، ازدادت أفواج الهاربين
من تلك البلدان من طالبي اللجوء إلى دول أخرى منها الولايات المتحدة الأمريكية،
وكندا، والمكسيك، وأستراليا وبلدان الاتحاد الأوروبي.

تُقدّم الملحوظة الإرشادية إرشاداً قانونياً تفسيراً للحكومات، وصانعي القرار، والمزاويلين
المختصين، وكوادر المفوضية العليا للاجئين العاملين في مجال تقرير صفة اللجوء.
ولا تقتصر الملحوظة في نطاقها على مُط معين من أمط العصابات ولا على إقليم
بحد ذاته، بل تهدف إلى إفادة نطاق واسع من طلبات اللجوء المقدمة على خلفية
الجماعات الإجرامية المنظمة بما فيها عصابات الشوارع، وعصابات الشباب وغيرها
من المنظمات الإجرامية كعصابات الاتجار بالمخدرات. كما تقدم هذه الملحوظة لمحة
عامة عن العصابات وممارستها، وتصف كيفية تأثر جميع شرائح المجتمع والأفراد
واستهدافهم من قبل العصابات، كما تقدم الملحوظة إرشاداً حول كيفية تطبيق
تعريف العناصر الخاصة باللجوء والمنصوص عليها في المادة ١(أ) من اتفاقية اللاجئين
لعام ١٩٥١ على طلبات اللجوء المبنية على خلفية العصابات.